

# لا بُر من التفاصيل..

« الى الاخ اهل دنقل .. بلا مناسبة »

لكي تبخل بالماء ولا تسقي منه بنيك ؟

□

عشر سنين لم يتوسع فيك سوى جرح وخيانة  
لم تزد الا اسعار الخبز واسباب الخوف  
لم يردد غير بهاء « ابي رمانه »  
لم تزد الا حاجتنا في كل شتاء للنار  
لم نطحن في ازمة هذا السكن الخائق  
الا ان صار لكل منا زنازة  
الزنازات اتسعت ، والاقبية اتسعت  
صارت عنك بديلا

من بيتي حتى الشارع ،

من وطني حتى سجن

لا يتغير غير قناع السجن

اجهد عمري ان احفر نفقا تحت القضبان

لكني خلف القضبان اشاهد عسسا وسجونا

يا وطني .. من زرع القضبان على الاضلاع المحنية

كنت زرعت على الصدر القصب الشادي والورد الفتان

لكني لا احصد الا الاحزان

والاعين ترمقني كي تعرف ما يطوي صدري من نيء

من أين أتيت لارجع ؟

من يرجعني للوطن الفارق في الصمت وحب الله ؟

من يرجعني للزمن الممكن فيه سكوت ؟

من أين أتاني هذا العلم فولد هذا الضيق المكبوت ؟

خلاني كالسكك الهائج يقفز ضيقا من ماء سن

او يقفز خوفان حوت

يلقي بالنفس على اليابسة ..

فيرجف حينئذ يموت

يا وطني ..

من منا قفز اليوم من الآخر ؟

من منا سيموت على بر الآخر ؟

□

عشر سنين اضرب كالقارق في السيل

اتخبط في الشارع .. قدام الفترينات ..

اتابع خفقات الاضواء

اتشاجر مع حراس الليل

وانضم لصف سكارى الليل :

في كل مساء اتلقى بالاصحاب

وننظم للحزن مسيره

وعلى ارضفة المدن المبنية من عرق ودم

— لم نملك غيرهما —

كنا نتحول كالاغراب

عشر سنين منذ أتيت

منتقلا من سجن الحاجة حتى سجن الاعياء

منتقلا من حب الله الى حب الفقراء

في حزن مدينتنا القيت عصا الترحال

وعانقت الوطن وسرحت الخيل

قلت : سأبدأ من وطني

لن أتركه ما لم يتمزق اشلاء .

وبدأنا نتحرك فيه

ونصرخ : هذا وطن الفقراء

هذا وطن عاد لكي يفصل يتم الابناء

قلنا : نفتح باب جهاد كي نلج الجنة ،

تورق تحت ظلال سيوف الشهداء

لكننا عشر سنين نزرع فيه ونتعب

نشقى وتكون حصيلتنا طحلب

نزرعه ليسلا

يحصده الجابي للوالي قبل صباح الديك

ونهم لنمتص ضروع الصخر ونشرب

يا وطني .. لم نبدأ كي نلقي هذي الخاتمة السوداء

ونشيخ على ابواب ثلاثين

لم نصرخ كي نلقاك اسيرا ، فنفس

وأسكت مقهورين ، ولا نقوى ان نفديك

حين ريننا في افيائك

وجهدنا ان تنمو فينا

او تنمو فيك

حين نذرنا للشبر من الطول العمر الوضاء

وذرفنا الصبر دموعا

علّ دموع البائس ترويك

لم نحسب انا سوف نلاقي

هذا العلق المتشبث حول حوافيك

لم نبدأ كي ننتظر الامل الآخر

كنا نحيا كي نطلب منا .. نحيا كي نعطيك

ونرى الان ترايك نهبا ..

نصمت مذ عبا ماء الخوف الافواه الخرساء

من منا يا وطني يجرؤ ان يعلن عن خيبة امل فيك ؟

نعرف انك ما كنت لتبخل عنا

عشر سنين عشناها عشرة عمر

يجمعنا : الآن الجوع

يجمعنا خبز القهر وملح دموع

من سرق الماء اذن منك

(1) نظرا للظروف التي تمر بها الامة العربية « كانت القصيدة

.. والعضوان .

صرنا في مساء

نبدا سهرتنا ميتسمين مع الكأس الاول  
نتجادل عند الكأس الثالث  
عن وطن محروق زكمتنا رائحة حريقه  
نبكي عند الكأس-الخامس  
نتساءل والقبضات تدق الطاولة الخرساء :  
« السيل يلاحقنا .. كيف يرون العيش امانا ؟  
من يأخذ منا ان اعطينا من اجل الوطن دمانا »  
نشاجر عند الكأس السابع  
يطرون الساقى فنعبىء ماظل من الليل صياح  
نتساءل : كيف الناس اذا شربوا ينسون الاحزان  
ولماذا لا تسكرنا الخمره او تنقلنا للافراح  
نتصافح كي نفترق على حذر  
نتساءل : من كان المخبر هذي الليلة ؟  
تجمع في امسية اليوم الثاني  
نتلصص ان كان هنالك احد

يتبع في السرّ خطانا

وننظم للحزن مسيره

عشر سنين نتجرع وطنا في الاقداح  
نتعرف فيه على الخيبة والقهر  
ونعرف انفسنا فيه  
ندمنه يوما لا نسكر الا فيه  
ونراه صغيرا فنحس بانفسنا اصفر  
عشر سنين ، وبرغم تزاحم هذي الاشباح  
اصبحنا ماء فسي بردي  
صار النهر وتينا اوابهر  
صرنا زرعا وسط بساتين القوطه  
صار الوطن الكرم ونحن دواليه  
صار الوطن النهر ونحن سواقيه  
ونزفتاه بفيظ حين نهرنا ان نرتاح  
وتبادلنا نظرات صامته قلنا :  
قد يطلع من هذا الليل صياح

□

عشر سنين لم احصد الا الضيق  
لم يسأل احدعما يمكنني ان افعل  
الا حين انتظروا التصفيق

عشر سنين في وطن

نتيتّم فيه ويشكل فينا

ونجول به مهوسين ومهمومين

كمن حاصرهم في البحر حريق

عشر سنين لا صورة لي عندهم

الا ما دون في التقرير المخبر

والمخبر مزروع في جلسات الانس صديق

يتبعني .. فيجبل الشارع سجنا ، والمنزل سجنا

يملا كل طريق

يتلصص بين العين وبين الثغر المطبق

كي لا يضطر الى التحديق  
وأرى اقلاما تكتب

في ايدي الاخوة والاهل واصحابي

فاخاف التصديق

عشر سنين ادفع باب طموحي ..

فيقدمني لمطاردة او زنازة

من منكم يا اصحابي .. يا زملاء الحزن

سيكتب عني تقرير الليلة ؟

من انساكم طعم الخبز وطعم الملح

وعلمكم تقبيل الناس بفدر يهوذا ؟

من منكم يتبعني مذجت ، يعذبني في صمت

يستدرجني لحديث يكتبه ويعانقني في ساعات الضيق ؟

انا ما زلت افتش في خوفي عن كلمات

اعرفها .. ما صكّت في افران الوالي عمله

او قدها .. كي تهديني في سجني

وتذكرني بالارض المحتلة

احملها وانا انتظر الموت بلا اكفان

اعبر سجن شبابي النازف

مقتحما سجن رجوله

دون طموح ببطوله

لكني قبل رحيلي ممتلئا بالقهر وبالاخزان

لا بد وان ارفع صوتي الان

فلتسمع كل الآذان

ولتسمع هذي الآذان الملصقة على الجدران

وليسمع هذا المخبر وهو يتابعني بالوجه المصفر

ان كانوا سلبوا موسم وطني

ما زال لدى الوطن حنان

ان كان التقرير عن الحزن كبيرا

فانا اتلاقى مع وطني كل مساء

نتبادل في السر الاحزان

ان كان السجان قد امتلا بأحقاد

حتى خلاه الحقد ضريرا

فليعلم اني ما زلت ارى السيل

سيجرف هذا السجن ومسجونيه مع السجان

ان كان الفضب بعين الوالي صار خطيرا

فالقهر بقلبي اخطر

والسيل القادم اخطر

والوطن المرتجف من القهر

يريد دمي كي يرجع اخضر

ان كان الظلم بجمعة هذا الجلاد كبيرا

فانا اكبر .

ممدوح عدوان

دمشق